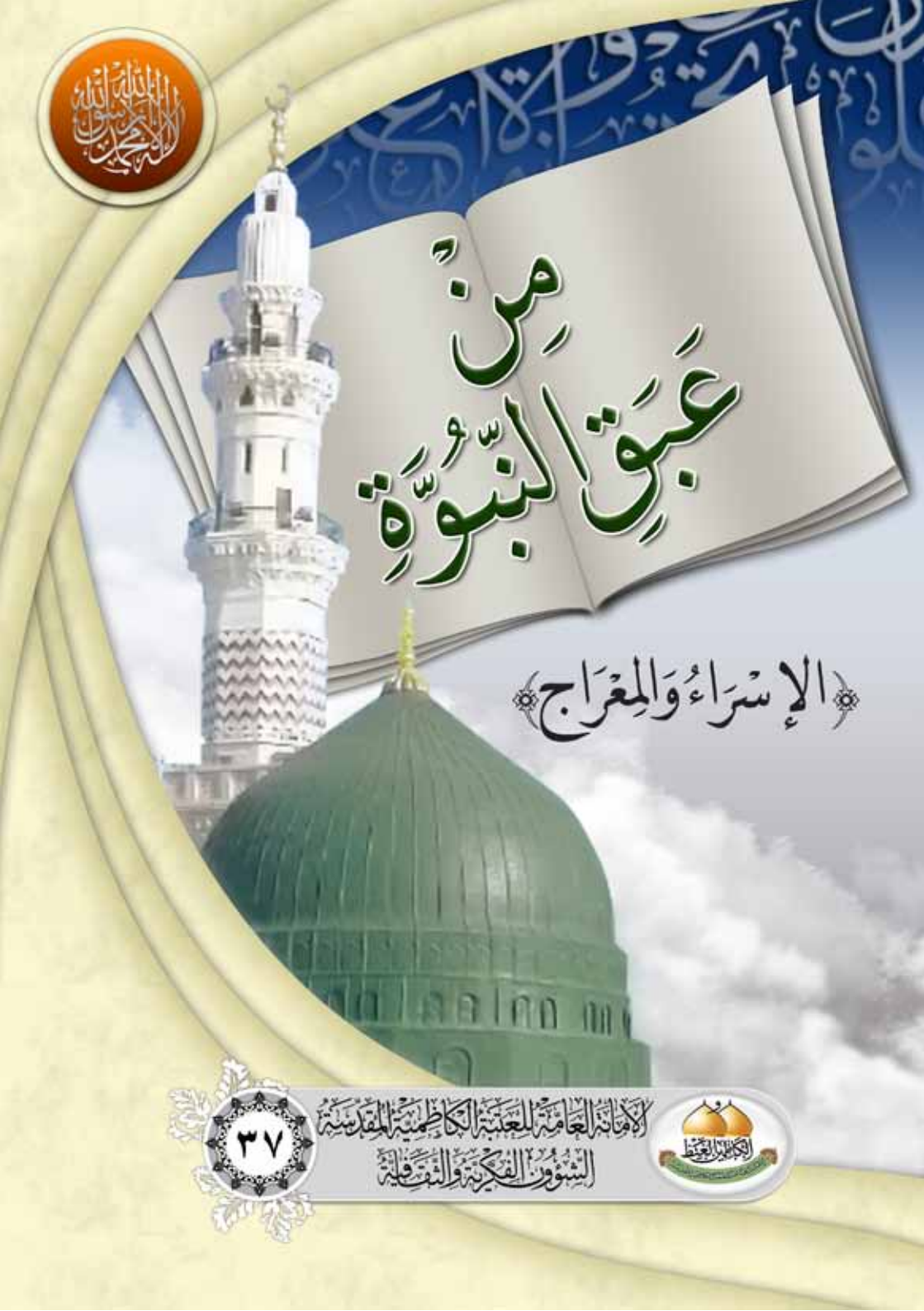
من عبق النبوة
﴿الإسراء والمعراج﴾
٣٧
الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية

مِنْ عَبَقِ النُّبُوَّةِ

﴿الإسراءُ والمِعراج﴾

الأمانة العامة للعتبة الكاظمية المقدسة
الشؤون الفكرية والثقافية
١٤٣٢ هـ

بسم الله الرحمن الرحيم

سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ
إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا
إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْبَصِيرُ

صَدَقَ اللهُ العَلِيُّ العَظِيم

تمهيد

بسم الله الأول قبل كل شيء، ومكوّن كل شيء، وموجود كل شيء، أحمده على كل شيء كوّنه، وكل جميل أتقنه، وكل عظيم صوّره، والصلاة والسلام على نوره الأول ومبعوثه الأكمل وعبده الأمثل رسول الأمة وشفيع الناس يوم الوحشة والآخذ بيد أمته إلى ا لجنة، المحمود الأحمد السيد الأمجد المسمى في الأرض محمد والمكنى في السماء أحمد وعلى آله الأبرار النجباء، وفي يوم الدين هم الشفعاء الذين جعل الله حبهم نجاة من نارٍ ظلماء.

إن من أهم المصادر التي تعطي القوة في العقيدة وتدفع بالإنسان إلى اقتحام الأهوال والصعاب في سبيلها هي العشق والولاء لأصحاب أو صاحب الدعوة والعقيدة، وهذا الولاء وهذه التضحية يجب أن تكون بكل غالٍ ونفيس من أجله، وهي لا تأتي إلا عن طريق المعرفة والعلم والاطلاع على صاحب تلك الدعوة أو تلك العقيدة أو النظرية، وهذا نجده واضحاً على مرّ العصور والدهور من دعوات الأنبياء والصالحين إلى دين الله وشريعته، فعلى سبيل المثال لا الحصر، لما أحسَّ نبي الله عيسى عليه السلام أن الكفر والشرك قد وصل الى المجتمع الذي كان يدين بدين اليهودية وأنهم سوف يكفرونه؛ نادى بهم للإيمان بشريعته وترك المظاهر الكفرية أو الإشراكية التي لم يأتِ بها موسى عليه السلام ولكنهم حرفوا شريعته ودينه فقام بينهم منادياً إلى نبذ

هذه الأمور والرجوع إلى دين الله وشريعته وهذا ما صرحت به الآية الشريفة حين قال عز من قائل: ﴿وَمُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ وَلِأُحِلَّ لَكُم بَعْضَ الَّذِي حُرِّمَ عَلَيْكُمْ وَجِئْتُكُم بِآيَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ فَاتَّقُواْ اللّه وَأَطِيعُونِ نَّ اللّه رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَاعْبُدُوهُ هَذَا صِرَاطٌ مُّسْتَقِيمٌ فَلَمَّا أَحَسَّ عِيسَى مِنْهُمُ الْكُفْرَ قَالَ مَنْ أَنصَارِي إِلَى اللّهِ قَالَ الْحَوَارِيُّونَ نَحْنُ أَنصَارُ اللّهِ آمَنَّا بِاللّهِ وَاشْهَدْ بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [1] فنجد أن الذين اتبعوا عيسى وكانوا من حواريه بنص الآية «والحواريون هم الصفوة من أصحاب الأنبياء الخلص لهم» [2] كان قولهم: نحن أنصار الله واشهد علينا يا نبي الله أننا مسلمون.

هنا يأتي السؤال وهو: ما السبب الذي جعل أصحاب نبي الله عيسى عليه السلام يقولون هذا الكلام دون باقي الناس؟

وا لجواب واضح وهو أن حال هؤلاء الحواريون في العلم بصاحب هذه الشريعة وهو عيسى عليه السلام مختلف عن باقي الناس به من حيث صفاته وسماته وحقيقة دعواه والمعاجز التي جرت على يديه.

وهذا الأمر وهو العلم بصاحب الشريعة وسماته ومعاجزه هو الذي دعانا إلى عقد هذا البحث لزيادة العلم واليقين بصاحب الشريعة الخاتمة لكل الشرائع وهو رسول الله محمد صلى الله عليه وآله وبالتالي زيادة العلم واليقين بشريعته المقدسة فإن مَن تعلق قلبه بشيء وعَشِقهُ

(١) آل عمران - الآية – ٥٠-٥٢.

(٢) لسان العرب /ج٤ ص٢٢٠.

فـإنَّ الـلازم أن يتعلق قلبه بآثـاره وتعاليمه وأوامـره ولعل نص الآيـة الشـريفة ﴿لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [1] هو إشارة إلى هذا المطلب.

إنهـا تحث على هذا المضمون الذي أوضحناه، فإن الإنسـان المسـلم إذا كان لـه علماً ومعرفة برسـول الله ﷺ يختلف مـن ناحية الالتزام والتطبيق بالشريعة من الإنسان المسلم الذي لم يعرف من الشريعة إلا رسمهـا ومـن صاحـب الشـريعة إلا اسمـه، وعليه.. لا بـد لنا من اسـتعراض الشـيء القليل عن هذه الشـخصية العظيمـة ومعرفتها الـتي قلبت كيان مجتمـع عاش بجاهلية صمـاء مطبقة ونقلهم إلى ساحة النور والعزة بين أمم العالم وأهل الديانات السماوية.

لذا سـيكون هذا البحث المتواضع أمام شخص الرسول الأعظم ﷺ مقسم إلى وقفات وإشارات ومنه التوفيق.

---

(١) - الأحزاب - الآية - ٢١ .

الوقفة الأولى :

فيما جاء في بعض أوصافه وسننه ﷺ

لقد كانت الأبحاث العقائدية تؤكد في بحوث النبوة، أن النبي لا بد أن يكون سالماً من العيوب الخارجية أو النقائص ا لجسدية فضلاً عن العيوب والنقائص الداخلية «القلبية» وذلك لا لشيء إلا لكون من كان له نقصاً أو عيباً جسدياً يكون منفراً لباقي الناس من الاستجابة لدعوته وهذا أمر طبيعي نجده في أي منصب دنيوي تكون وظيفة هذا المنصب هو جذب الناس إلى ما يدعو إليه كسفير دولة ما أو المتحدث الرسمي لحزب ما وهكذا.

فبما أن النبي يمثل السفارة الإلهية أو الواسطة بين الأرض والسماء وبين الله والعباد، ووظيفته هو كسب الناس ودعوتهم بالإيمان بما جاء به من تشريع، فلا بد أن يكون خالياً من العيوب ا لجسدية والنقائص النسبية، وهذا ما كان عليه حال رسولنا الأعظم صلوات الله عليه من خلوه من النقائص والعيوب الخارجية، بل إن مَن تصوّر سماته وصفاته كان عاشقا له من دون أن يراه صلوات ربي عليه وآله وهذه بعض مما وصلَنا من أوصافه الشريفة.

في أوصافه: عن ابن شهرآشوب في المناقب والترمذي في الشمائل والطبري في تأريخه والزمخشري في الفائق والفتال في الروضة وردت

أوصاف النبي ﷺ بروايات كثيرة منها عن أمير المؤمنين عليه السلام وابن عباس وأبي هريرة وجابر بن سمرة وهند بن أبي هالة أنه ﷺ كان فخماً مفخماً وفي العيون معظماً وفي القلوب مكرماً يتلألأ وجهه تلألؤ القمر ليلة البدر، أزهر منور اللون مشرباً بحمرة لم تزريه مقلة «أي لم تُعِبه أي عين رأته وتضجر منه» ولم تعبه ثجلة «الثجل هو الرجل عظيم البطن أي لم تعبه عظيم بطنه» أغر «الأغر أي الأبيض» أبلج «رجل أبلج أي طليق الوجه بالمعروف» أحور «الحور شدة بياض العين وشدة سوادها» أدعج «شدة سواد بؤبؤ العين» أكحل أزج «الزجج هو دقة الحاجب واستقوامه» عظيم الهامة رشيق القامة مقصداً واسع الجبين أقنى العرنين «هو الارتفاع في أعلى الأنف» أشكل العينين مقرون الحاجبين سهل الخدين صلتهما طويل الزندين، شبح الذراعين عظيم مشاشة المنكبين «مشاش العظم أي مخ العظم» طويل ما بين المنكبين شثن الكفين «أي غليظ الكفين والشثن الرجل الذي في أنامله غلظ» ضخم المقدمين عاري الثديين خمصان الأخمصين «الأخمصان البطن وخصر القدم وخماصة البطن هو دقة خلقته» مخطوط المتينين «المتنان لحمتان معصوبتان بينهما صلب الظهر» أهدب الأشفار «الشفر هو شفر العين وا لجمع اشفار وأهدب الاشفار أي طويل أشفار العينين وكثيرهما» كث اللحية ذا وفرة وافر السبلة «السبلة هي ما على الشفة العليا من الشعر تجمع الشاربين وما بينهما» أخضر الشمط «الشمط في الرجل شيب اللحية» ضليع الفم أشم أشنب «رقة الأنياب مع الصفاء والبياض والبريق والتحديد في الإنسان» مفلج الأسنان سبط الشعر دقيق المسربة «المسربة شعرات

تنبت في وسط الصدر إلى أصل السرة»، معتدل الخلق مفاض البطن عريض الصدر كأن عنقه جيد دمية في صفاء الفضة سائل الأطراف منهوس العقب «نهس اللحم أخذه بمقدم الأسنان وأطرافها والعقب مؤخر القدم والمعنى هنا أنه ﷺ منهوس العقب أي أن قدمه الشريفة قليلة اللحم ضعيفة من الخلف وليست سمينة» قصير الحنك داني ا لجبهة ضرب اللحم بين الرجلين كأن في خاصرته انفتاق قعم الأوصال «القعم: ردة في الأنف أي ميل» لم يكن بالطويل البائن ولا بالقصير الشائن ولا بالطويل الممغط ولا بالقصير المتردد «أي لا إفراط فيه لا بالطول ولا بالقصر» ولا با لجعد القطط «القطط: شعر قط وقطط شديد ا لجعود، وا لجعود في الشعر ضد البسوطة والاسترسال في الشعر» ولا بالسبط ولا بالمطهم ولا بالمكلثم «أي لم يكن بالمدور الوجه ولا با لمجتمع لحم الوجه ولكنه مستوي الوجه» ولا بالأبيض الأمهق «وهو البياض المخلوط بزرقة وهو الكريه من البياض كلون ا لجص ومعنى أنه ليس بالأبيض الأمهق أي أنه ﷺ كان نير البياض» ضخم الكراديس «وهي رؤوس العظام»، جليل المشاش «المشاش هي رؤوس العظام اللينة»، كنوز المنخر لم يكن في بطنه ولا في صدره شعر إلا موصل ما بين اللبة «اللبة المنحر وموضع القلادة» إلى السرة كالخط، جليل الكتد «ما بين أعلى الظهر إلى منتصف الكاهل» أجرد ذا مسربة «أي لا شعر على جسده والمسربة شعرات تنبت في وسط الصدر إلى أصل السرة كقضيب» وكان أكثر شيبه في فودى رأسه ﷺ «الفودى من الفود وهما معظم شعر اللمة مما يلي الأذنين» وكأن كفه كف عطار مسها بطيب، رحب الراحة

سبط القصب «القصب: عظام اليدين والرجلين» وكان إذا رضي وسرَّ فكأن وجهه المرآة، يخطو تكفؤاً ويمشي هوينا يبدو القوم إذا سارع إلى الخير «أي يتصدر القوم في المبادرة إلى عمل الخير» وإذا مشي تقلع كأنما ينحط من صبب «الصبب ما انحدر من الأرض أي أنه صلوات الله عليه حين يمشي يضع كعب رجلهِ الشريفة أولاً معتدل الظهر» إذا ابتسم يتبسم عن مثل المنحدر من بطون الغمام «هذا تشبيه في ابتسامته وأسنانه بالقطرات المتساقطة من الغمام» وإذا أفتر أفتر عن سنا البرق إذا تلألأ، لطيف الخلق عظيم الخلق لين ا لجانب إذا طلع بوجهه على الناس رأوا جبينه كأنه ضوء السراج المتوقد كأن عرقه في جبهته اللؤلؤ وريح عرقه أطيب من ريح المسك الأذفر بين كتفيه خاتم النبوة صلوات الله عليه وآله.

فنجد من خلال التدقيق في هذه الصفات الشريفة لرسول الله ﷺ أنها صفات تبعث في قلب كل من رآه الحب والراحة والانقياد له والتعلق به ﷺ فكان بحق كامل الأوصاف كما أنه كان كامل الأخلاق[١].

(١) يراجع لمن اراد المزيد كتاب سنن النبي للعلامة الطبابائي

في عِشرته مع الناس وأخلاقهِ وتعامله مع الرعيةِ

عن الديلمي في الإرشاد قال كان النبي ﷺ يرقع ثوبه ويخصف نعله ويحلب شاته ويأكل مع العبد ويجلس على الأرض ويركب الحمار ويردف ولا يمنعه الحياء أن يحمل حاجته من السوق إلى أهله ويصافح الغني والفقير ولا ينزع يده من يد أحد حتى ينتزعها الآخر ويسلم على من استقبله من غني وفقير وكبير وصغير ولا يحقر ما دعي إليه ولو إلى حشف التمر، وكان خفيف المؤونة كريم الطبيعة جميل المعاشرة أطلق الوجه بسّاماً من غير ضحك محزوناً من غير عبوس متواضعاً من غير مذلة جواداً من غيرسرف رقيق القلب رحيما بكل مسلم ولم يتجشأ من شبع قط ولم يمد يده إلى طمع قط[١] وعن الصدوق في العلل وعيون أخبار الرضا عن آبائه عليهم السلام قال: قال رسول الله ﷺ «خمس لا أدعهن حتى الممات : الأكل على الحضيض مع العبيد ، وركوبي الحمار مؤكفاً «الكفء: قلبك الشيء لوجهه وتعني أنه كان ﷺ يركب من دون سرج لا كما يعمل للملوك والأمراء بل يكتفي بوضع خرقة على حماره» وحلبي العنز بيدي ولبس الصوف و السلام على الصبيان ليكون سنة من بعدي»[٢].

وكان النبي ﷺ يجلس ثلاثاً القرفصاء وهو أن يقيم ساقيه

(١) إرشاد القلوب للديلمي ص١١٥.

(٢) أمالي الصدوق ج٢ ص٦٨.

ويستقبلها بيده ويشد يده في ذراعه ,وكان يجثو على ركبتيه وكان يثني رجلاً واحداً ويبسط عليها الأخرى ولم ير متربعاً قط»[١].

وفي الكافي كان رسول الله ﷺ يقسم لحظاته بين أصحابه فينظر إلى ذا وإلى ذا بالسوية، قال ولم يبسط رسول الله ﷺ رجليه بين أصحابه قط[٢] وكان إذا حدث بحديث تبسم في حديثه[٣] وعن أبي عبد الله الصادق عليه السلام كيف مداعبة بعضكم بعضاً قلت قليل، قال: هلا تفعلوا؟ فإن المداعبة من حسن الخلق وإنك تدخل السرور على أخيك ولقد كان النبي ﷺ يداعب الرجل يريد به أن يسره[٤].

وفي رواية أخرى نقل عنه ﷺ أنه كان يكره أن يقام له فكانوا إذا قدم لا يقومون لعلمهم كراهته ذلك فإذا قام قاموا معه حتى يدخل منزله[٥] وأخيراً ورد عنه ﷺ إنا أمرنا معاشر الأنبياء بمدارة الناس كما أمرنا بالفرائض[٦].

فهذا نزر قليل من معاشرته وأخلاقه عليه السلام مع الناس ومع أصحابه فمن كان له هذه الصفات كان بحق يمتلك قلب العدو والمبغض قبل أن يملك قلب الصديق والصاحب.

(١) الكافي ج٢ ص٦٦١.
(٢) الكافي ج٤ ص١٥.
(٣) مكارم الأخلاق ص٢١.
(٤) الكافي ج٢ ص٦٦٣.
(٥) المستدرك ج٩ ص١٥٩.
(٦) الكافي ج٢ ص١١٧.

الوقفة الثانية

في بدء الدعوة بالتبليغ للرسالة الإلهية الخاتمة

لقد وردت الكثير من الأخبار والأحاديث الدالة على أن رسول الله ﷺ كان منتظراً للأوامر الإلهية بالظهور بدين و شريعة الإسلام وإنقاذ الناس من العمى والضلال وغياب الحاكمية الإلهية بين الناس وتحكم العرف القبلي بأقدار الناس ومصيرهم، وهذا على العكس مما أورده بعض المحدثين وأصحاب السير في أن رسول الله ﷺ لم يكن يعرف بنفسه أنه نبي هذه الأمة وأنه كان خائفا من صوت جبرائيل حين أمره بالقراءة أول مرة، وأنه ﷺ لا يعرف القراءة والكتابة وغيرها من الشبهات الواهية، فقد ورد في رواية البخاري ومسلم وغيرهما، عن الزهري، عن عروة بن الزبير، عن عائشة في بدء الوحي ما ملخصه: أن الملك جاء للنبي ﷺ وهو في غار حراء، فقال: إقرأ.

قال: ما أنا بقارئ.

قال: فأخذني فغطني حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني.

فقال: إقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ، فأخذني فغطني الثانية، حتى بلغ مني الجهد، ثم أرسلني.

فقال: إقرأ.

فقلت: ما أنا بقارئ.

فأخذني فغطني الثالثة، ثم أرسلني فقال: ﴿اقْرَأْ بِاسْمِ رَبِّكَ الَّذِي خَلَقَ، خَلَقَ الإِنسَانَ مِنْ عَلَقٍ، اقْرَأْ وَرَبُّكَ الأَكْرَمُ﴾.

فرجع بها رسول الله ﷺ يرجف فؤاده؛ فدخل على خديجة بنت خويلد، فقال زمّلوني، زمّلوني، حتى ذهب عنه الروع؛ فقال لخديجة- وقد أخبرها الخبر- : لقد خشيت على نفسي.

فقالت خديجة: كلا والله، ما يخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتحمل الكل، وتكسب المعدوم، وتقري الضيف، وتعين على نوائب الحق، فانطلقت به خديجة، حتى أتت به ورقة بن نوفل، بن أسد، بن عبد العزى، ابن عم خديجة، وكان امرءاً قد تنصر في الجاهلية، وكان يكتب الكتاب العبراني، فيكتب من الإنجيل بالعبرانية ما شاء الله أن يكتب، وكان شيخاً كبيراً قد عمي، فقالت له خديجة: يا ابن عم اسمع من ابن أخيك.

فقال له ورقة: ماذا ترى؟

فأخبره رسول الله ﷺ خبر ما رأى.

فقال له ورقة: هذا الناموس الذي أنزل الله على موسى، يا ليتني فيها جذعاً ليتني، أكون حياً إذ يخرجك قومك.

فقال رسول الله ﷺ: أوَ مخرجيّ هم؟

قال: نعم، لم يأت رجل قط بمثل ما جئت به إلا عُودِيَ، وإن يدركني يومك أنصرك نصراً مؤزراً.

وللرد على مثل هكذا روايات في هذه العجالة نقول.

أولاً: إن في أكثر الروايات التي وردت هي منقولة عن الزهري وخاصة هذه التي نقلناها آنفاً والزهري معروف من أنه كان من أعوان الظالمين ومن الذين يركنون إليهم وكان عاملاً لبني أمية وقد قال فيه المحقق التستري أنه كان كاتباً لهشام بن عبد الملك ومعلماً لأولاده ويكفيه أنه كان من الخارجين عن طاعة علي عليه السلام وكان من المبغضين له وكان ينال من أمير المؤمنين[1].

الثاني: أن جبرائيل غطَّهُ «أي الرسول» وهذا يعني أنه عصره وحبس أنفاسه أو خنقه حتى أبلغ منه الجهد أو حتى ظن أنه الموت، ثم أرسله وأمره بالقراءة فأخبره النبي أنه لا يعرفها فلم يقنع منه بل عاد وغطَّهُ ثم أرسله وهكذا ثلاثا

فالسؤال هنا، ما المبرر لذلك كله؟ وكيف جاز لجبرائيل عليه السلام أن

---

(١) يراجع في هذا الموضوع من سيرة النبي - جعفر مرتضى العاملي الجزء الثالث ص٤٣ وما بعدها.

يـروع النبي ويخيفـه ويؤذيه بالعصر وحبس الأنفاس إلى حد أنه ﷺ سـيظن أنه سـيموت، وكذلك لماذا يفعل هذا الفعل ثلاث مرات أي أنه يعيد هذا الأذى وهذا الحبس للأنفاس ثلاث مرات؟

ولمـاذا لم يجبه النـبي ويصدقه في المرة الأولى أو الثانية وانتظر إلى الثالثة؟ وهل كان النبي يعرف القراءة منذ البداية ولم يقبل أن يقرأ؟ وهـل أن جبرائيـل جاء بكتاب حتى يطلب مـن النبي أن يقرأه؟ أم لم يـأتِ بكتـاب مكتوب ومع ذلـك طلب جبرائيل من النـبي ﷺ أن يقرأ الشـيء الـذي هو ليس بمكتـوب؟ فهل هذا إلا تكليـف بما لا يطاق؟ وهل أن جواب النبي ما أنا بقارئ كان امتناع عن قراءة شـيء مكتوب أم غير مكتوب؟

الثالـث: بعد رجوع النبي من غار حـراء وقد تلقى الوحي والقرآن مـن جبرائيـل، لمـاذا رجـع خائفـاً إلى بيتـه أوَ ليس من المفـروض إن يكـون فرحـاً لأنه أصبح اليوم وهذه الليلة نبيا بل وأنه خاتم الأنبياء والرسل أم أنه أريد الدس في شخص النبي الأكرم ﷺ في أنه كان جباناً خائفاً متردداً في أمر النبوة.

الرابـع: هل أن جبرائيل أخبره في الغار في أنه نبي الله الخاتم لهذا الزمـان أم لم يخـبره؟ فـإذا كان أخبره فمـا هو حاجتـه إلى ورقة بن نوفل حتى يخبره أنه عهد النبوة وأنه هو نفس الناموس الذي تلقاه موسـى عليه السلام، أم لم يخـبره جبرائيل وهـو لم يعرف بأنه نبي واتكل في بيان معرفة مقام النبوة على ورقة بن نوفل واكتفى به؟

الخامس: الشك بالنبوة والاعتداء على مقام رسول الله ﷺ بأنه لا يعلم أنه نبي أم لا .. بل عرّفه ورقة بن نوفل بالنبوة فكأن ورقة أعلم من رسول الله ﷺ وهذا قدحٌ بعصمة الرسول ﷺ.

النتيجة

إن المتأمل في جميع هذه الروايات يخرج بنتيجة وهي أن الحادثة مضطربة أشد الاضطراب وفيها الكثير من الإشكالات والتساؤلات التي لم يجب عليها أحد ممن تبنى مثل هكذا روايات، وهذا إن دل على شيء فإنما يدل على كذب هذه الروايات وهي من وضع الوضاعين في زمن بني أمية وما بعده، والغاية الأولى والأساس في هكذا روايات هي تشويه صورة البعثة و النبوة للأمة الإسلامية وإدخال الشك والريبة في شخص النبي ﷺ حتى وصل الأمر إلى القول بأن محمداً ﷺ هو شخص كان يختلي بكهف وابتدع هذه الأوامر والنواهي لكي يحكم بها شعوبا متخلفة لم تصل إليها الحضارة، فهو ليس نبياً ولا رسولاً وإنما شخص ذكي عرف كيف يخدع الناس ويتغلب عليهم ويحكم العالم بخرافة النبوة والعياذ بالله.

هذا كلام أكثر المستشرقين من أعداء الإسلام الطاعنين في شريعة الخاتم ﷺ وشخصه الكريم وإنما جاء هذا الطعن لوجود مثل هكذا روايات تعطي المجال للتقوّل والطعن.

والحق أن رسول الله ﷺ كان عارفاً بنفسه وبما هو عليه من الشأنية العظمى والمقام الأسمى الذي اجتباه الله وحباه إلى نفسه ويكفي القول في دليلية هذا الكلام هو قوله تعالى: ﴿لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ﴾ [١] وقوله تعالى: ﴿فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [٢].

فإن في هاتين الآيتين إشارة إلى أن القرآن كان معلوماً وموجوداً في صدر النبي ﷺ وبالتالي فمقام النبوة أيضاً كان معلوماً لديه قال العلامة الطباطبائي قدس سره: «فإن الآيات ظاهرة في أن رسول الله ﷺ كان له علم بما سينزل عليه فنهي عن الاستعجال بالقراءة قبل قضاء الوحي» ثم قال: «وبا لجملة فإن المتدبر في الآيات القرآنية لا يجد مناصاً على الاعتراف بدلالتها على كون هذا القرآن المنزل على النبي تدريجاً متكئاً على تلك الحقيقة المتعالية عن أن تدركها أبصار العقول العامة أو تتناولها أيد الأفكار المتلوثة بألواث الهوسات وقذارات المادة» [٣].

فيكون الكلام في هذه الروايات الواردة في مسألة عدم علم رسول الله ﷺ من أنه نبي وأنه لم يكن يعلم بالقرآن من قبل إنما هي عبارة عن أوهام وخرافات ألفت في أزمان وأوقات كان الحديث يكتب بأموال تدفع من قبل سياسات معينة هدفها إبعاد الناس عن روح الرسالة

(١) القيامة - الآية - ١٦ .

(٢) طه - الآية - ١١٤ .

(٣) تفسير الميزان/ للطباطبائي/ ج٢ ص١٨.

المحمدية وتشويش العقيدة الحقة في رسول الله ﷺ وأهل بيته عليهم السلام.

أما مسألة أن النبي كان أمياً لا يقرأ ولا يكتب فهذا أيضاً مردود وذلك لكون أن القراءة والكتابة من الوسائل الموصلة إلى الكمالات التي تكون عند الناس ويكون بمعرفتهم للقراءة والكتابة أفضل من الذين لا يقرؤون قال تعالى: ﴿قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُوا الْأَلْبَابِ﴾ (١).

وقد قلنا أن من شرائط النبوة هو كون النبي أفضل أهل زمانه خَلقاً وخُلقاً ومنطقاً ومعرفةً.

نعم مسألة القراءة والكتابة لم تكن ظاهرة في شخصية الرسول ﷺ ولم يكن له أستاذاً قد علمه القراءة أو الكتابة وبالتالي فهو معلم عن طريق الإلهام من الباري عز وجل مباشرةً من دون معلم، أما الآية التي جاء فيها قوله تعالى: ﴿الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوبًا عِندَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ﴾ (٢).

فإنها تعني أنه ﷺ مبعوث في أم القرى وهي مكة فينسب الرسول ﷺ إلى أم القرى فيقال أمي ولم تعنِ الآية مسألة عدم القراءة والكتابة فإن هناك فرق شاسع ما بين المعنيين.

---

(١) الزمر - الآية - ٩ .

(٢) الأعراف - الآية - ١٥٧ .

الوقفة الثالثة

من معاجزه ﷺ (الإسراء والمعراج)

إن من أهم العقائد التي تناقش في أصل النبوة هي المعجزة للأنبياء والرسل ومعنى المعجز والمعجزة هو ذلك الأمر الذي يكون خارقاً للعادة ولم يجرِ على يد أحد من الناس، وأن تكون دعواهم مطابقة مع هذا المعجز لا أن تكون المعجزة تثبت عكس الدعوى للمدعي كما حدث في قضية مسيلمة الكذاب حين طلب منه أن يبصق في بئرٍ بصفته نبي لكي يزيد ويرتفع ماء ذلك البئر، فبصق فيه فغار الماء وبقيت البئر لا ماء فيها، فإن هذا الأمر وإن كان أمراً خارقاً للعادة إلا أنه جاء على عكس دعوى النبوة التي ادعاها مسيلمة الكذاب وتكذيباً له من الله.

وقضية المعاجز واضحة في القرآن وضوح الشمس وأنها جرت على أيدي الأنبياء والرسل بل أصبحت قانوناً لكل من ادعى أنه نبي وأنه مبعوث السماء إلى الناس فكانوا يطالبونه على الفور بالمعجز لإثبات حقيقة دعواه أو ما ينتحله من منصب إلهي.

ولقد كان نبينا ﷺ ممن جرت على يديه الكثير من المعاجز والكرامات في إثبات نبوته ومنزلته ومقامه الرفيع والشريف ويكفينا في هذا المقام أن نتناول معجزة واحدة من المعاجز المهمة في حياة

الرسـول ﷺ وهي معجزة الإسراء والمعراج وسنقسمه إلى عدة نقاط ليسهل على القاريء فهمها.

الأولى:- متى حدث الإسراء والمعراج

إن المشـهور بين العلماء أن الإسراء والمعراج قد كان قبل الهجرة لمدة وجيزة، فبعضهم قال سـتة أشهر وبعضهم قال في السنة الثانية عشر للبعثة ولكن الأقوى أن الإسراء والمعراج قد وقع قبل الهجرة الشريفة وفي مكة المكرمة وليس بعدها.

الثانية:- الإسراء والمعراج هل كان با لجسد الشريف لرسول الله ﷺ أم كان رؤية في منام؟

المعروف والمشـهور أن إسـراء الرسـول ﷺ كان ليلاً من مكة المكرمة إلى بيت المقدس بجسـده الشـريف ثم عرج به إلى السـماء ودرجاتها وأقسامها بجسده أيضاً وليس مجرد رؤية رآها في نوم، والدليل واضح وصريـح في قوله تعالى: ﴿ مَا كَـذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى - أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى - وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى - عِندَ سِـدْرَةِ الْمُنْتَهَى - عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى - إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى - مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى - لَقَدْ رَأَى مِنْ

آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ [١] فالآية تصرح بأن الذي رآه وشاهده رسول الله ﷺ كان ببصره وليس بشيء آخر ومن المعروف أن البصر يدل على جسم أو جسد رسول الله ﷺ فهو جارحة من جوارحه وقوة من قواه، نعم ورد في بعض الأحاديث الضعيفة أنه لم يعرج بجسده الشريف وإنما كان مجرد رؤية رآها في النوم لا غير، إن هذه الروايات المتوافرة والصحيحة التي تنص على أنه قد عرج بجسده الشريف إلى السماء مرجحة على تلك الروايات المخالفة التي تقول أنها مجرد رؤية رآها رسول الله ﷺ.

ثم لو كان الإسراء والمعراج هو عبارة عن رؤية فلا يبقى معجزة لرسوله الكريم ﷺ في حين أننا نجد في القرآن أن الإسراء والمعراج كان من المفاخر والكرامات والمعاجز لرسوله بل أن الإسراء والمعراج لم يقع لنبي أو رسول من قبل.

الثالثة:- لماذا أسري وعرج برسول الله ﷺ وما هي الغاية من السفر الملكوتي.

إن من أوضح الأسباب التي ذكرت في تعليل الإسراء والمعراج هو ما جاء في تفسير الأمثل حيث قال: إنّ هدف المعراج لم يكن تجوالاً للرّسول ﷺ في السماوات للقاء الله كما يعتقد السذج، وكما نقل

---

(١) النجم - الآية - ١١-١٨ .

بعض العلماء الغربيين - ومع الأسف - لجهلهم أو لمحاولتهم تحريف الإسلام أمام الآخرين، ومنهم «غيور غيف» الذي يقول في كتاب «محمد رسول ينبغي معرفته من جديد، ص ١٢٠»، «بلغ محمد في سفر معراجه إلى مكان كان يسمع فيه صوت قلم اللّه، ويفهم أنّ اللّه منهمك في تدوين حساب البشر! ومع أنّه كان يسمع صوت قلم اللّه إلاّ أنّه لم يكن يراه! لأنّ أحداً لا يستطيع رؤية اللّه وإن كان رسولا».

وهذا يُظهر أن القلم كان من النوع الخشبي! الذي يهتز ويولد أصواتاً عند حركته على الورق!! وأمثال هذه الخرافات والأوهام. كلا. فالهدف كان مشاهدة الرّسول صلى الله عليه وآله لأسرار العظمة الإلهية في أرجاء عالم الوجود، لا سيما العالم العلوي الذي يشكل مجموعة من براهين عظمته، وتتغذى بها روحه الكريمة وتحصل على نظرة وإدراك جديدين لهداية البشرية وقيادتها ويتّضح هذا الهدف بشكل صريح في الآية الأُولى من سورة الإسراء، والآية «١٨» من سورة النجم.

وهناك رواية أيضاً منقولة عن الإمام الصادق عليه السلام في جوابه على سبب المعراج. أنّه قال عليه السلام: «إن اللّه لا يوصف بمكان، ولا يجري عليه زمان، ولكنّه عزَّ وجلّ أراد أن يشرف به ملائكته وسكان سماواته، ويكرمهم بمشاهدته، ويريه من عجائب عظمته ما يخبر به بعد هبوطه»[1].

---

(١) تفسير الأمثل ج٨ ص٣٩٢.

الرابعة: ما هي الآيات التي تدل على الإسراء والمعراج؟

أن من أوضح الآيات القرآنية التي تشير الى معجزة الإسراء والمعراج هي هاتين الآيتين الأولى ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً مِّنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1].

يقول السيد الطباطبائي في ميزانه (قوله تعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلاً﴾ إلى آخر الآية. سبحان اسم مصدر للتسبيح بمعنى التنزيه ويستعمل مضافا وهو مفعول مطلق قائم مقام فعله فتقديره «سبحان الله» سبحت الله تسبيحاً أي نزهته عن كل ما لا يليق بساحة قدسه، وكثيراً ما يستعمل للتعجب، لكن سياق الآيات إنما يلائم التنزيه لكونه الغرض من البيان وإن أصرَّ بعضهم على كونه للتعجب. والإسراء والسرى السير بالليل يقال: سرى وأسري أي سار ليلا وسرى وأسري به أي سار به ليلاً، والسير يختص بالنهار أو يعمه «أي النهار» والليل. وقوله: «ليلاً» مفعول فيه ويفيد من الفائدة أن هذا الإسراء تم له بالليل فكان الرواح والمجيء في ليلة واحدة قبل أن يطلع فجرها. وقوله: ﴿إِلَى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى﴾ هو بيت المقدس بقرينة قوله: ﴿الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ والقصي: البعد وقد سمي المسجد الأقصى لكونه أبعد مسجد بالنسبة إلى مكان النبي ﷺ ومن معه من المخاطبين وهو مكة التى فيها المسجد الحرام،

---

(١) الإسراء - الآية - ١ .

وقوله: ﴿لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ بيان غاية الإسراء وهى إراءة بعض الآيات الإلهية، وفي السياق دلالة على عظمة هذه الآيات التى أراها الله سبحانه كما صرح به في موضع آخر من كلامه يذكر فيه حديث المعراج بقوله: ﴿لَقَدْ رَآى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الكُبْرَى﴾ [1] وقوله: ﴿إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ البَصِير﴾ تعليل لإسرائه به لإراءة آياته أي أنه سميع لأقوال عباده، بصير بأفعالهم، وقد سمع من مقال عبده ورآى من حاله ما استدعى أن يكرمه هذا الإكرام فيسرى به ليلا ويريه من آياته الكبرى، وفي الآية التفات من الغيبة إلى التكلم مع الغير في قوله: ﴿بَارَكْنَا حَولَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آيَاتِنَا﴾ ثم رجوع إلى الغيبة السابقة، والوجه فيه الإشارة إلى أن الإسراء وما ترتب عليه من إراءة الآيات إنما صدر عن ساحة العظمة والكبرياء وموطن العزة وا لجبروت فعملت فيه السلطنة العظمى وتجلى الله له بآياته الكبرى، ولو قيل: ليريه من آياته أو غير ذلك لفاتت النكتة. والمعنى: لينزه تنزيها من أسرى بعظمته وكبريائه وبالغ قدرته وسلطانه بعبده محمد في جوف ليلة واحدة من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى وهو بيت المقدس الذى بارك حوله ليريه بعظمته وكبريائه آياته الكبرى، وإنما فعل به ذلك لأنه سميع بصير علم بما سمع من مقالة ورآى من حاله إنه خليق أن يكرم هذه التكرمة)[2].

أما الآية الثانية فهي ما ورد في سورة النجم في قوله تعالى: ﴿ذُو

---

(١) سورة النجم: الآية ١٨.

(٢) تفسير الميزان ج١٣ ص٦_٨ .

مِرَّةٍ فَاسْتَوَى ۞ وَهُوَ بِالْأُفُقِ الْأَعْلَى ۞ ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّى ۞ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى ۞ فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى ۞ مَا كَذَبَ الْفُؤَادُ مَا رَأَى ۞ أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ۞ وَلَقَدْ رَآهُ نَزْلَةً أُخْرَى ۞ عِندَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهَى ۞ عِندَهَا جَنَّةُ الْمَأْوَى ۞ إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ۞ مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ۞ لَقَدْ رَأَى مِنْ آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرَى﴾ (١).

قال العلامة الطباطبائي في تفسير هذه الآيات «قوله تعالى: ﴿وَالنَّجْمِ إِذَا هَوَى﴾ ظاهر الآية أن المراد بالنجم هو مطلق الجرم السماوي المضيء وقد أقسم الله في كتابه بكثير من خلقه ومنها عدة من الأجرام السماوية كالشمس والقمر وسائر السيارات، وعلى هذا فالمراد بِهَوِيِّ النجم سقوطه للغروب. وقيل: المراد بالنجم القرآن لنزوله نجوما، وقيل: الثريا، وقيل: الشعرى، وقيل: الشهاب الذي يرمى به شياطين الجن، لأن العرب تسميه نجماً، وللهوي ما يناسب لكل من هذه الأقوال من المعنى، لكن لفظ الآية لا يساعد على شيء من هذه المعاني، قوله تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا غَوَى﴾ الضلال الخروج والانحراف عن الصراط المستقيم، والغي خلاف الرشد الذي هو إصابة الواقع، قال: الراغب: الغي جهل من اعتقاد فاسد، وذلك أن الجهل قد يكون من كون الإنسان غير معتقد باعتقاداً لا صالحاً ولا فاسدا «أي يكون الإنسان خالياً من أي عقيدة صالحة كانت أو فاسدة وهذا هو معنى الضلال»، وقد يكون من اعتقاد شيء فاسد، وهذا النحو الثاني يقال: له غي، قال: تعالى: ﴿مَا ضَلَّ صَاحِبُكُمْ وَمَا

(١) النجم - الآية - ٦- ١٨.

غَوَى﴾، والمراد بالصاحب هو النبي ﷺ والمعنى: ما خرج صاحبكم عن الطريق الموصل إلى الغاية المطلوبة ولا أخطأ في اعتقاده ورأيه فيها، ويرجع المعنى إلى أنه لم يخطئ لا في الغاية المطلوبة التي هي السعادة الإنسانية وهو عبوديته تعالى، ولا في طريقها التي تنتهي إليها، قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى﴾ المراد بالهوى هوى النفس ورأيها، والنطق وإن كان مطلقاً ورد عليه النفي وكان مقتضاه نفي الهوى عن مطلق نطقه ﷺ لكنه لما كان خطابا للمشركين وهم يرمونه في دعوته وما يتلو عليهم من القرآن بأنه كاذب متقوّل مفتر على الله سبحانه كان المراد بقرينة المقام أنه ﷺ ما ينطق فيما يدعوكم إلى الله أو فيما يتلوه عليكم من القرآن عن هوى نفسه ورأيه بل ليس ذلك إلا وحيا يوحى إليه من الله سبحانه، قوله تعالى: ﴿عَلَّمَهُ شَدِيدُ الْقُوَى﴾ ضمير «علمه» للنبي ﷺ أو للقرآن بما هو وحي أو لمطلق الوحي والمفعول الآخر لعلمه محذوف على أي حال والتقدير علم النبي الوحي أو علم القرآن أو الوحى إياه. والمراد بشديد القوى - على ما قالوا - جبريل وقد وصفه الله بالقوة في قوله: ﴿ذِي قُوَّةٍ عِنْدَ ذِي الْعَرْشِ مَكِينٍ﴾ (١)، وقيل: المراد به هو الله سبحانه. قوله تعالى: ﴿ذُو مِرَّةٍ فَاسْتَوَى﴾ المرة بكسر الميم الشدة، وحصافة العقل والرأي وبناء نوع من المرور وقد فسرت المرة في الآية بكل من المعاني الثلاثة مع القول بأن المراد بذي مرة جبريل، والمعنى: هو أي جبريل ذو شدة في جنب الله أو هو ذو حصافة في عقله ورأيه، أو هو ذو نوع من المرور بالنبي ﷺ وهو في الهواء. وقيل: المراد

(١) سورة التكوير: الآية ٢٠.

بـذي مـرة النبي ﷺ فهو ذو شـدة في جنب الله أو ذو حصافة في عقله ورأيه أو ذو نوع من المرور عرج فيه إلى السماوات. وقوله: ﴿فَاسْتَوَى﴾ بمعنى اسـتقام أو اسـتولى وضمير الفاعل راجع إلى جبريل والمعنى: فاسـتقام جبريل على صورته الأصلية التي خلق عليها على ما روى أن جبريـل كان ينـزل علـى النـبي ﷺ في صـور مختلفـة، وإنما ظهر له في صورته الأصلية مرتين أو المعنى: فاسـتولى جبريل بقوته على مـا جعـل له من الأمـر. وإن كان الضمير للنبي ﷺ فالمعنى فاسـتقام واسـتقر. قولـه تعـالى: ﴿وَهُوَ بِالأُفُقِ الأَعْلَى﴾ الأفـق الناحية قيل: المراد بالأفق الأعلى ناحية الشـرق من السـماء لأن أفق المشـرق فوق المغـرب في صعيـد الأرض لا في الهواء وهـو كما ترى والظاهر أن المراد به أفق أعلى من السماء من غير اعتبار كونه أفقا شرقيا. وضمير هو في الآية راجع إلى جبريل أو إلى النبي ﷺ ، وا لجملة حال من ضمير «اسـتوى». قولـه تعالى: ﴿ثُـمَّ دَنَى فَتَـدَلى﴾ الدنو القـرب، والتدلي التعلق بالشـيء ويكنى به عن شـدة القرب، وقيل: الامتداد إلى جهة السـفل مأخـوذ مـن الدلـو، والمعنـى: على تقديـر رجـوع الضميرين لجبريل: ثم قرب جبريل فتعلق بالنبي ﷺ ليعرج به إلى السـماوات، وقيل: ثم تدلى جبريل من الأفق الأعلى فدنا من النبي ﷺ ليعرج به. والمعنـى: علـى تقدير رجوع الضميرين إلى النـبي ﷺ: ثم قرب النبي مـن الله سـبحانه وزاد في القـرب. قوله تعالى: ﴿فَكَانَ قَابَ قَوسَـيْنِ أَوْ أَدْنَـى﴾ قال في المجمع: القاب والقيب والقاد والقيد عبارة عن مقدار الشـيء، والقوس معروفة وهي آلة الرمي، ويقال قوس على الذراع في لغة أهل الحجاز على ما قيل.

والمعنى: فكان البعد قدر قوسين أو قدر ذراعين أو أقرب من ذلك. وقيل: القاب ما بين مقبض القوس وسيتها ففي الكلام قلب والمعنى: فكان قابَيْ قوس، واعترض عليه بأن قابي قوس وقاب قوسين واحد فلا موجب للقلب. قوله تعالى: ﴿فَأَوْحَى إِلَى عَبْدِهِ مَا أَوْحَى﴾ ضمير أوحى في الموضعين لجبريل على تقدير رجوع الضمائر السابقة إلى جبريل، والمعنى: فأوحى جبريل إلى عبد الله وهو النبي ﷺ ما أوحى، قيل: ولا ضير في رجوع الضمير إليه تعالى من عدم سبق الذكر لكونه في غاية الوضوح. أو الضمائر الثلاث لله والمعنى: فأوحى الله بتوسط جبريل إلى عبده ما أوحى أو الضمير الأول لجبريل والثاني والثالث لله والمعنى فأوحى جبريل ما أوحى الله إليه إلى عبد الله. والضمائر الثلاث كلها لله على تقدير رجوع الضمائر السابقة إلى النبي ﷺ والمعنى: فأوحى الله إلى عبده ما أوحى، وهذا المعنى أقرب إلى الذهن من المعنى السابق الذي لا يرتضيه الذوق السليم وإن كان صحيحا. قوله تعالى: «ما كذب الفؤاد ما رأى» الكذب خلاف الصدق يقال: كذب فلان في حديثه، ويقال: كذبه الحديث بالتعدي إلى مفعولين أي حدثه كذبا، والكذب كما يطلق على القول والحديث الذي يلفظه اللسان كذلك يطلق على خطأ القوة المدركة يقال: كذبته عينه أي أخطأت في رؤيتها. ونفي الكذب عن الفؤاد إنما هو بهذا المعنى سواء أخذ الكذب لازما والتقدير ما كذب الفؤاد فيما رآى أو متعديا إلى مفعولين، والتقدير ما كذب الفؤاد - فؤاد النبي ﷺ - ما رآه أي إن رؤية فؤاده فيما رآه رؤية صادقة. وعلى هذا فالمراد بالفؤاد فؤاد النبي ﷺ، وضمير الفاعل في ﴿ما رآى﴾ راجع إلى الفؤاد والرؤية رؤيته. ولا

بدع في نسبة الرؤية وهي مشاهدة العيان إلى الفؤاد فإن للإنسان نوعا من الإدراك الشهودي وراء الادراك بإحدى الحواس الظاهرة والتخيل والتفكر بالقوى الباطنة كما إننا نشاهد من أنفسنا أننا نرى وليست هذه المشاهدة العيانية إبصارا بالبصر ولا معلوما بفكر، وكذا نرى من أنفسنا أننا نسمع ونشم ونذوق ونلمس ونشاهد أننا نتخيل ونتفكر وليست هذه الرؤية ببصر أو بشيء من الحواس الظاهرة أو الباطنة فإنا كما نشاهد مدركات كل واحدة من هذه القوى بنفس تلك القوة كذلك نشاهد إدراك كل منها لمدركها وليس هذه المشاهدة بنفس تلك القوة بل بأنفسنا المعبر عنها بالفؤاد. وليس في الآية ما يدل على أن متعلق الرؤية هو الله سبحانه وأنه لمرئي له ﷺ بل المرئي هو الأفق الأعلى والدنو والتدلي وأنه أوحي إليه فهذه هي المذكورة في الآيات السابقة وهي آيات له تعالى، ويؤيد ذلك ما ذكره تعالى في النزلة الأخرى من قوله: «ما زاغ البصر وما طغى لقد رأى من آيات ربه الكبرى «. على أنها لو دلت على تعلق الرؤية به تعالى لم يكن به بأس فإنها رؤية القلب ورؤية القلب غير رؤية البصر الحسية التي تتعلق بالأجسام ويستحيل تعلقها به تعالى، وما قيل: إن ضمير «ما رأى» للنبي ﷺ والمعنى: ما قال فؤاده ﷺ لما رآه ببصره لم أعرفك ولو قال ذلك لكان كاذبا لأنه عرفه بقلبه كما رآه ببصره، ومحصله أن فؤاده صدق بصره فيما رآه. وكذا ما قيل: إن المعنى أن فؤاده لم يكذب بصره فيما رآه بل صدقه واعتقد به، ويؤيده قراءة من قرأ «ما كذب» بتشديد الذال. ففيه أن الذي يعطيه سياق الآيات تأييده تعالى صدق النبي ﷺ فيما يدعيه من الوحي ورؤية آيات الله الكبرى، ولو

كان ضمير «ما رآى» للنبي ﷺ كان محصل معنى الآية الاحتجاج على صدق رؤيته باعتقاده ذلك بفؤاده وهو بعيد من دأب القرآن وهذا بخلاف ما لو رجع ضمير «ما رآى» إلى الفؤاد فإن محصل معناه تصديقه تعالى لفؤاده فيما رآه ويجري الكلام على السياق السابق الآخذ من قوله: «ما ضل صاحبكم وما غوى إن هو إلا وحي يوحى» الخ. فان قلت: أنه تعالى يحتج في الآية التالية ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى﴾ برؤيته ﷺ على صدقه فيما يدعيه فليكن مثله الاحتجاج باعتقاد فؤاده بما يراه بعينه. قلت: ليس قوله: «أفتمارونه على ما يرى» مسوقا للاحتجاج برؤيته على صدقه بل توبيخ على مماراتهم إياه ﷺ على أمر يراه ويبصره ومجادلتهم إياه فيه، والمماراة والمجادلة إنما تصح - لو صحت - في الآراء النظرية والاعتقادات الفكرية وأما فيما يرى ويشاهد عيانا فلا معنى للمماراة والمجادلة فيه، وهو ﷺ إنما كان يخبرهم بما يشاهده عيانا لا عن فكر وتعقل. قوله تعالى: «أفتمارونه على ما يرى» الاستفهام للتوبيخ والخطاب للمشركين والضمير للنبي ﷺ، والمماراة الإصرار على المجادلة، والمعنى: أفتصرون في جدالكم على النبي ﷺ أن يذعن بخلاف ما يدعيه ويخبركم به وهو يشاهد ذلك عيانا. قوله تعالى: «ولقد رآه نزلة أخرى»، النزلة: بناء.. مرة من النزول فمعناه نزول واحد، وتدل الآية على أن هذه قصة رؤية في نزول آخر والآيات السابقة تقص نزولا آخر غيره. وقد قالوا: إن ضمير الفاعل المستكن في قوله «رآه» للنبي ﷺ، وضمير المفعول لجبريل، وعلى هذا فالنزلة نزول جبريل عليه ﷺ وسلم ليعرج به إلى السماوات، وقوله: «عند سدرة المنتهى»

ظـرف للرؤية لا للنزلة، والمراد برؤيته رؤيته وهو في صورته الأصلية. والمعنى: أنه نزل عليه ﷺ نزلة اخرى وعرج به إلى السـماوات وتراءى له ﷺ عند سدرة المنتهى وهو في صورته الأصلية. وقد ظهر مما تقدم صحـة إرجـاع ضمير المفعول إليه تعـالى، والمراد بالرؤيـة رؤية القلب والمـراد بنزلـة أخـرى نزلـة النـبي ﷺ عند سـدرة المنتهـى في عروجه إلى السـماوات، فالمفـاد أنـه ﷺ نزل نزلـة أخرى أثنـاء معراجه عند سـدرة المنتهى فرآه بقلبه كما رآه في النزلة الأولى، قوله تعالى: «عند سـدرة المنتهى عندها جنة المأوى إذ يغشـى السـدرة ما يغشى» السدر شـجر معروف والتاء للوحدة والمنتهى كأنه - اسـم مـكان ولعل المراد بـه منتهـى السـماوات بدليل كون ا لجنـة عندها وا لجنة في السـماء، قال تعالى: «وفي السـماء رزقكم وما توعدون «[1]، ولا يوجد في كلامه تعـالى ما يفسـر هذه الشـجرة، وكأن البنـاء على الإبهـام كما يؤيده قوله بعد: «إذ يغشـى السـدرة ما يغشـى» وقد فسر في الروايات أيضا بأنها شجرة فوق السماء السابعة إليها تنتهي أعمال بني آدم، وقوله: «عندهـا جنـة المـأوى» أي ا لجنة التي يأوي إليهـا المؤمنون وهي جنة الآخـرة فـإن جنة البرزخ جنـة معجلة محدودة بالبعـث، قال تعالى: «فلهـم جنات المـأوى نزلا بمـا كانوا يعملـون» السـجدة: ١٩، وقوله: «فـإذا جـاءت الطامة الكـبرى - إلى أن قال - فإن ا لجنـة هي المأوى» النازعـات: ٤١ وهي في السـماء علـى ما يدل عليه قولـه تعالى: «وفي السـماء رزقكـم ومـا توعـدون» الذاريـات: ٢٢، وقيـل: المـراد بها جنة البرزخ. وقوله: «إذ يغشى السدرة ما يغشى» غشيان الشيء الإحاطة

(١) سورة الذاريات: الآية ٢٢.

به، و «ما» موصولة، والمعنى: إذ يحيط بالسدرة ما يحيط بها، وقد أبهم تعالى هذا الذي يغشى السدرة ولم يبين ما هو كما تقدمت الإشارة إليه، قوله تعالى: «ما زاغ البصر وما طغى» الزيغ الميل عن الاستقامة، والطغيان تجاوز الحد في العمل، وزيغ البصر إدراكه المبصر على غير ما هو عليه، وطغيانه إدراكه ما لا حقيقة له، والمراد بالبصر بصر النبي ﷺ. والمعنى: أنه ﷺ لم يبصر ما أبصره على غير صفته الحقيقية ولا أبصر ما لا حقيقة له بل أبصر غير خاطئ في إبصاره. والمراد بالإبصار رؤيته ﷺ بقلبه لا بجارحة العين فإن المراد بهذا الإبصار ما يعنيه بقوله: «ولقد رآه نزلة أخرى» المشير إلى مماثلة هذه الرؤية لرؤية النزلة الأولى التي يشير إليها بقوله: «ما كذب الفؤاد ما رأى أفتمارونه على ما يرى» فافهم ولا تغفل. قوله تعالى: «لقد رأى من آيات ربه الكبرى» «من» للتبعيض، والمعنى: أقسم لقد شاهد بعض الآيات الكبرى لربه، وبذلك تم مشاهدة ربه بقلبه فإن مشاهدته تعالى بالقلب إنما هي بمشاهدة آياته بما هي آياته فإن الآية بما هي آية لا تحكي إلا ذا الآية ولا تحكي عن نفسه شيئا وإلا لم تكن من تلك الجهة آية. وأما مشاهدة ذاته المتعالية من غير توسط آية وتخلل حجاب فمن المستحيل ذلك قال تعالى: «ولا يحيطون به علما»[1][2].

---

(١) سورة طه: الآية ١١٠.

(٢) تفسير الميزان/ ج١٩ ص٢٦ وما بعدها.

الخامسة: ما ورد في الأحاديث الشارحة والمفصلة لحادثة الاسراء والمعراج ولقد رويت الكثير من الروايات التي تخبر وتفصل في حادثة الإسراء والمعراج حتى وصل الأمر إلى بعضها أيدي العابثين والوضاعين فأدخلوا في هذه الروايات من الخرافات والعقائد المخالفة لشريعة الإسلام والمسلمين أمثال رؤية الله با لجسم وا لجلوس معه وا لمحادثة العيانية وغيرها من الشبهات ولقد اخترنا اصح النصوص التي نقلت في حادثة الإسراء والمعراج وهي:

نص حديث الإسراء والمعراج

«في تفسير القمي عن أبيه عن ابن أبي عمير عن هشام بن سالم عن أبي عبد الله عليه السلام قال: جاء جبرائيل وميكائيل وإسرافيل بالبراق إلى رسول الله صلى الله عليه وآله فأخذ واحد باللجام وواحد بالركاب - وسوى الآخر عليه ثيابه فتضعضعت البراق فلطمها جبرائيل ثم قال لها: اسكني يا براق فما ركبكِ نبي قبله ولا يركبك بعده مثله قال: فرفت به ورفعته ارتفاعا ليس بالكثير ومعه جبرائيل يريه الآيات من السماء والأرض. قال: فبينا أنا في مسيري إذ نادى مناد عن يميني: يا محمد فلم أجبه ولم التفت إليه ثم نادى مناد عن يساري: يا محمد فلم أجبه ولم التفت إليه ثم استقبلتني امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت: يا محمد انظرني حتى

أكلمك فلم التفت إليها ثم سرت فسمعت صوتا أفزعني فجاوزت فنزل بي جبرائيل فقال: صل فصليت فقال: تدري أين صليت ؟ قلت: لا، فقال: صليت بطور سيناء حيث كلم الله موسى تكليما ثم ركبت فمضينا ما شاء الله ثم قال لي: انزل فصل فنزلت وصليت فقال لي: تدري أين صليت ؟ فقلت: لا، قال: صليت في بيت لحم، وبيت لحم بناحية بيت المقدس حيث ولد عيسى بن مريم. ثم ركبت فمضينا حتى انتهينا إلى بيت المقدس فربطت البراق بالحلقة التي كانت الأنبياء تربط بها فدخلت المسجد ومعي جبرائيل إلى جنبي فوجدنا إبراهيم وموسى وعيسى فيمن شاء الله من أنبياء الله عليهم السلام فقد جمعوا إلي وأقيمت الصلاة ولا أشك إلا و جبرائيل سيتقدمنا فلما استووا أخذ جبرائيل بعضدي فقدمني وأممتهم ولا فخر. ثم أتاني الخازن بثلاثة أواني إناء فيه لبن وإناء فيه ماء وإناء فيه خمر، وسمعت قائلا يقول: إن أخذ الماء غرق وغرقت أمته، وإن أخذ الخمر غوى وغويت أمته، وإن أخذ اللبن هدي وهديت أمته قال: فأخذت اللبن وشربت منه فقال لي جبرائيل هُديْت وهُديَت أمتك. ثم قال لي: ماذا رأيت في مسيرك ؟ فقلت: ناداني مناد عن يميني فقال: أوَ أجبته فقلت: لا ولم التفت إليه فقال: ذاك داعي اليهود لو أجبته لتهودت أمتك من بعدك ثم قال: ماذا رأيت ؟ فقلت: ناداني مناد عن يساري فقال لي: أوَ أجبته ؟ فقلت: لا ولم التفت إليه فقال: ذاك داعي النصارى ولو أجبته لتنصرت أمتك من بعدك. ثم قال:

ماذا استقبلك ؟ فقلت: لقيت امرأة كاشفة عن ذراعيها عليها من كل زينة الدنيا فقالت: يا محمد انظرني حتى أكلمك. فقال: أو كلمتها ؟ فقلت: لم أكلمها ولم التفت إليها فقال: تلك الدنيا ولو كلمتها لاختارت أمتك الدنيا على الآخرة. ثم سمعت صوتا أفزعني فقال لي جبرئيل: أتسمع يا محمد؟ قلت: نعم قال: هذه صخرة قذفتها عن شفير جهنم منذ سبعين عاما فهذا حين استقرت قالوا: فما ضحك رسول الله ﷺ حتى قبض قال: وصعد جبرائيل وصعدت معه إلى السماء الدنيا وعليها ملك يقال له: إسماعيل وهو صاحب الخطفة التي قال الله عز وجل: ﴿إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ ثَاقِبٌ﴾ وتحته سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك فقال: يا جبرائيل من هذا الذي معك ؟ فقال محمد رسول الله ﷺ قال: وقد بعث ؟ قال: نعم ففتح الباب فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وقال: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، وتلقتني الملائكة حتى دخلت السماء الدنيا فما لقيني ملك إلا ضاحكا مستبشرا حتى لقيني ملك من الملائكة لم أرَ أعظم خلقا منه كريه المنظر ظاهر الغضب فقال لي مثل ما قالوا من الدعاء إلا أنه لم يضحك ولم أر فيه من الاستبشار ما رأيت من ضحك الملائكة فقلت: من هذا يا جبرائيل فإني قد فزعت منه ؟ فقال: يجوز أن تفزع منه فكلنا نفزع منه إن هذا مالك خازن النار لم يضحك قط، ولم يزل منذ أن ولاه الله جهنم

يزداد كل يوم غضبا وغيظا على أعداء الله وأهل معصيته فينتقم الله به منهم ولو ضحك إلى أحد قبلك أو كان ضاحكا إلى أحد بعدك لضحك إليك، فسلمت عليه فرد السلام عليّ وبشرني با لجنة. فقلت لجبرائيل بالمكان الذي وصفه الله ﴿مُطَاعٍ ثَمَّ أَمِينٍ﴾ : إلا تأمره أن يريني النار ؟ فقال له جبرائيل: يا مالك أر محمداً النار، فكشف عنها غطاءها وفتح بابا منها فخرج منها لهب ساطع في السماء وفارت وارتفعت حتى ظننت ليتناولني مما رأيت، فقلت: يا جبرائيل! قل له فليرد عليها غطاءها فأمره فقال لها: ارجعي فرجعت إلى مكانها الذي خرجت منه. ثم مضيت فرأيت رجلا آدما جسيما فقلت: من هذا يا جبرائيل ؟ فقال هذا أبوك آدم فإذا هو يعرض عليه ذريته فيقول: روح طيبة وريح طيبة من جسد طيب ثم تلا رسول الله ﷺ سورة المطففين على رأس سبع عشرة آية ﴿كَلَّا إِنَّ كِتَابَ الْأَبْرَارِ لَفِي عِلِّيِّينَ ۞ وَمَا أَدْرَاكَ مَا عِلِّيُّونَ ۞ كِتَابٌ مَرْقُومٌ ۞ يَشْهَدُهُ الْمُقَرَّبُونَ﴾ إلى آخرها قال: فسلمت على أبي آدم وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي، وقال: مرحبا بالابن الصا لح والنبي الصا لح المبعوث في الزمن الصا لح. قال: ثم مررت بملك من الملائكة جالس على مجلس وإذا جميع الدنيا بين ركبتيه وإذا بيده لوح من نور ينظر فيه مكتوب فيه كتاب ينظر فيه لا يلتفت يمينا ولا شمالا، مقبلا عليه كهيئة الحزين فقلت: من هذا يا جبرائيل ؟ قال هذا ملك الموت دائب في قبض الأرواح فقلت: يا جبرائيل ادنني

منه حتى أكلمه فأدناني منه فسلمت عليه وقال له جبرائيل: هذا محمد نبي الرحمة الذي أرسله الله إلى العباد فرحب بي وحياني بالسلام وقال: أبشر يا محمد فإني أرى الخير كله في أمتك فقلت: الحمد لله المنان ذي النعم على عباده ذلك من فضل ربي ورحمته علي فقال جبرائيل: هو أشد الملائكة عملاً فقلت: أكل من مات أو هو ميت فيما بعد هذا تقبض روحه؟ فقال نعم، قلت: وتراهم حيث كانوا وتشهدهم بنفسك ؟ فقال: نعم. فقال ملك الموت: ما الدنيا كلها عندي فيما سخره الله لي ومكنني عليها إلا كالدرهم في كف الرجل يقلبه كيف يشاء، وما من دار إلا وأنا أتصفحه كل يوم خمس مرات، وأقول إذا بكى أهل الميت على ميتهم: لا تبكوا عليه فإن لي فيكم عودة وعودة حتى لا يبقى منكم أحد فقال رسول الله ﷺ: كفى بالموت طامة يا جبرائيل فقال جبرائيل: إن ما بعد الموت أطم وأطم من الموت قال: ثم مضيت فإذا أنا بقوم بين أيديهم موائد من لحم طيب ولحم خبيث يأكلون اللحم الخبيث ويدعون الطيب فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل ؟ فقال: هؤلاء الذين يأكلون الحرام ويدعون الحلال وهم من أمتك يا محمد. فقال رسول الله ﷺ ثم رأيت ملكا من الملائكة جعل الله أمره عجيبا نصف جسده النار والنصف الأخر ثلج فلا النار تذيب الثلج ولا الثلج تطفئ النار وهو ينادي بصوت رفيع ويقول: سبحان الذي كف حر هذه النار فلا تذيب الثلج وكف برد هذا الثلج فلا يطفئ حر هذه النار، اللهم يا مؤلف بين الثلج

والنار ألّف بين قلوب عبادك المؤمنين، فقلت: من هذا يا جبرائيل؟ فقال: هذا ملك وكله الله بأكناف السماء وأطراف الأرضين وهو أنصح ملائكة الله لأهل الأرض من عباده المؤمنين يدعو لهم بما تسمع منذ خلق، ورأيت ملكين يناديان في السماء أحدهما يقول: اللهم أعط كل منفق خلفا والآخر يقول: اللهم أعط كل ممسك تلفا، ثم مضيت فإذا أنا بأقوام لهم مشافر كمشافر الإبل يقرض اللحم من جنوبهم ويلقى في أفواههم فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ فقال: هؤلاء الهمّازون اللمّازون. ثم مضيت فإذا أنا بأقوام ترضخ رؤوسهم بالصخر فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل ؟ فقال: هؤلاء الذين ينامون عن صلاة العشاء. ثم مضيت فإذا أنا بأقوام تقذف النار في أفواههم وتخرج من أدبارهم فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون أموال اليتامى ظلما إنما يأكلون في بطونهم نارا وسيصلون سعيرا. ثم مضيت فإذا أنا بأقوام يريد أحدهم أن يقوم فلا يقدر من عظم بطنه فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل ؟ قال: هؤلاء الذين يأكلون الربا لا يقومون إلا كما يقوم الذي يتخبطه الشيطان من المس. وإذا هم بسبيل آل فرعون يعرضون على النار غدواً وعشياً يقولون ربنا متى تقوم الساعة ؟. قال: ثم مضيت فإذا أنا بنسوان معلقات بثديهن فقلت: من هؤلاء يا جبرائيل فقال: هؤلاء اللواتي يورثن أموال أزواجهن أولاد غيرهم. ثم قال رسول الله ﷺ اشتد غضب الله على امرأة أدخلت على قوم

في نسبهم من ليس منهم فاطلع على عوراتهم وأكل خزائنهم. ثم قال: مررنا بملائكة من ملائكة الله عز وجل خلقهم الله كيف شاء ووضع وجوههم كيف شاء، ليس شيء من أطباق أجسادهم إلا وهو يسبح الله ويحمده من كل ناحية بأصوات مختلفة أصواتهم مرتفعة بالتحميد والبكاء من خشية الله فسألت جبرائيل عنهم فقال: كما ترى خُلقوا، إن الملك منهم إلى جنب صاحبه ما كلمهم كلمة قط ولا رفعوا رؤوسهم إلى ما فوقها ولا خفضوها إلى ما تحتها خوفا من الله وخشوعا فسلمت عليهم فردوا علي إيماءً برؤوسهم لا ينظرون إلي من الخشوع فقال لهم جبرائيل: هذا محمد نبي الرحمة أرسله الله إلى العباد رسولاً ونبياً. وهو خاتم النبيين وسيدهم أفلا تكلمونه؟ قال: فلما سمعوا ذلك من جبرائيل أقبلوا علي بالسلام وأكرموني وبشروني بالخير لي ولأمتي. قال: ثم صعدنا إلى السماء الثانية فإذا فيها رجلان متشابهان فقلت: من هذان يا جبرائيل ؟ فقال لي: ابنا الخالة يحيى وعيسى عليهما السلام فسلمت عليهما وسلما علي واستغفرت لهما واستغفرا لي وقالا: مرحبا بالأخ الصالح والنبي الصالح، وإذا فيها من الملائكة وعليهم الخشوع قد وضع الله وجوههم كيف شاء ليس منهم ملك إلا يسبح الله بحمده بأصوات مختلفة. ثم صعدنا إلى السماء الثالثة فإذا فيها رجل فضل حسنه على سائر الخلق كفضل القمر ليلة البدر على سائر النجوم فقلت: من هذا يا جبرائيل ؟ فقال: هذا أخوك يوسف فسلمت عليه

وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي، وقال: مرحبا بالنبي الصالح والأخ الصالح والمبعوث في الزمن الصالح، وإذا فيها ملائكة عليهم من الخشوع مثل ما وصفت في السماء الأولى والثانية، وقال لهم جبرائيل في أمري ما قال للآخرين وصنعوا فيَّ مثل ما صنع الآخرون. ثم صعدنا إلى السماء الرابعة وإذا فيها رجل فقلت: من هذا يا جبرائيل ؟ فقال هذا إدريس رفعه الله مكاناً علياً فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي، وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السموات التي عبرناها فبشروني بالخير لي ولأمتي، ثم رأيت ملكاً جالساً على سرير تحت يديه سبعون ألف ملك تحت كل ملك سبعون ألف ملك فوقع في نفس رسول الله ﷺ أنه هو، فصاح به جبرائيل فقال: قم فهو قائم إلى يوم القيامة، ثم صعدنا إلى السماء الخامسة فإذا فيها رجل كهل عظيم العين لم أرَ كهلا أعظم منه حوله ثلة من أمته فأعجبني كثرتهم فقلت: من هذا يا جبرائيل ؟ فقال: هذا المحبب في قومه هارون بن عمران فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات. ثم صعدنا إلى السماء السادسة وإذا فيها رجل آدم طويل كأنه من شنوة ولو أن له قميصين لنفذ شعره فيهما وسمعته يقول: يزعم بنو إسرائيل أني أكرم ولد آدم على الله وهذا رجل أكرم على الله مني فقلت: من هذا يا جبرائيل ؟ فقال: هذا أخوك موسى بن عمران فسلمت عليه وسلم علي واستغفرت له واستغفر لي،

وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السماوات. قال: ثم صعدنا إلى السماء السابعة فما مررت بملك من الملائكة إلا قالوا: يا محمد احتجم وأمر أمتك بالحجامة، وإذا فيها رجل أشمط الرأس واللحية جالس على كرسي فقلت: يا جبرائيل من هذا الذي في السماء السابعة على باب البيت المعمور في جوار الله ؟ فقال: هذا يا محمد أبوك إبراهيم وهذا محلك ومحل من اتقى من أمتك ثم قرأ رسول الله: ﴿إِنَّ أَوْلَى النَّاسِ بِإِبْرَاهِيمَ لَلَّذِينَ اتَّبَعُوهُ وَهَذَا النَّبِيُّ وَالَّذِينَ آمَنُوا وَاللَّهُ وَلِيُّ الْمُؤْمِنِينَ﴾ فسلمت عليه وسلم عَلي وقال: مرحبا بالنبي الصالح والابن الصالح والمبعوث في الزمن الصالح وإذا فيها من الملائكة الخشوع مثل ما في السموات فبشروني بالخير لي ولأمتي. قال رسول الله ﷺ: ورأيت في السماء السابعة بحاراً من نور تتلألأ، تلألؤها يخطف بالأبصار، وفيها بحار من ظلمة وبحار من ثلج ترعد فكلما فزعت ورأيت هولاً سألت جبرائيل فقال: أبشر يا محمد واشكر كرامة ربك واشكر الله بما صنع إليك قال: فثبتني الله بقوته وعونه حتى كثر قولي لجبرائيل وتعجبي. فقال جبرائيل: يا محمد تعظم ما ترى؟ إنما هذا خلق من خلق ربك فكيف بالخالق الذي خلق ما ترى وما لا ترى أعظم من هذا من خلق ربك إن بين الله وبين خلقه سبعين ألف حجاب وأقرب الخلق إلى الله أنا وإسرافيل وبيننا وبينه أربعة حجب حجاب من نور وحجاب من الظلمة وحجاب من الغمامة وحجاب من الماء. قال: ورأيت من العجائب التي خلق الله وسخر على ما أراده ديكاً رجلاه في

تخوم الأرضين السابعة ورأسه عند العرش وهو ملك من ملائكة الله تعالى خلقه الله كما أراد ثم اقبل مصعداً حتى خرج في الهواء إلى السماء السابعة وانتهى فيها مصعداً حتى انتهى قرنه إلى قرب العرش وهو يقول: سبحان ربي حيثما كنت لا تدري أين ربك من عظم شأنه، و له جناحان في منكبه إذا نشرهما جاوزا المشرق والمغرب فإذا كان في السحر نشر جناحيه وخفق بهما وصرخ بالتسبيح يقول: سبحان الله الملك القدوس، سبحان الله الكبير المتعال لا إله إلا الله الحي القيوم وإذا قال ذلك سبحت ديوك الأرض كلها وخفقت بأجنحتها وأخذت بالصراخ فإذا سكت ذلك الديك في السماء سكت ديوك الأرض كلها، ولذلك الديك زغب أخضر وريش أبيض كأشد بياض ما رأيته قط، وله زغب أخضر أيضا تحت ريشه الأبيض كأشد خضرة ما رأيتها قط. قال: ثم مضيت مع جبرائيل فدخلت البيت المعمور فصليت فيه ركعتين ومعي أناس من أصحابي عليهم ثياب جدد وآخرين عليهم ثياب خلقان فدخل أصحاب الجدد وجلس أصحاب الخلقان. ثم خرجت فانقاد لي نهران نهر يسمى الكوثر ونهر يسمى الرحمة فشربت من الكوثر واغتسلت من الرحمة ثم انقادا لي جميعا حتى دخلت الجنة وإذا على حافتيها بيوتي وبيوت أهلي وإذا ترابها كالمسك، وإذا جارية تنغمس في أنهار الجنة فقلت: لمن أنت يا جارية ؟ فقالت: لزيد بن حارثة فبشرته بها حين أصبحت، وإذا بطيرها كالبُخَّت، وإذا رمانها مثل الدلي العظام، وإذا شجرة لو أرسل طائر في أصلها ما دارها سبعمائة

سنة، وليس في الجنة منزل إلا وفيه غصن منها فقلت: ما هذه يا جبرائيل ؟ فقال: هذه شجرة طوبى قال الله﴿ طُوبَى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآبٍ﴾ ، قال رسول الله ﷺ: فلما دخلت الجنة رجعت إلى نفسي فسألت جبرائيل عن تلك البحار وهولها وأعاجيبها فقال: هي سرادقات الحجب التي احتجب الله تبارك وتعالى بها ولولا تلك الحجب لهتك نور العرش كل شيء فيه. وانتهيت إلى سدرة المنتهى فإذا الورقة منها تظل أمة من الأمم فكنت منها كما قال الله تعالى ﴿قَابَ قَوسَينِ أوْ أدْنَى﴾ فناداني ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ فقلت أنا مجيبٌ عني وعن أمتي: ﴿وَالْمُؤْمِنُونَ كُلٌّ آمَنَ بِاللهِ وَمَلَائِكَتِهِ وَكُتُبِهِ وَرُسُلِهِ لَا نُفَرِّقُ بَيْنَ أَحَدٍ مِنْ رُسُلِهِ وَقَالُوا سَمِعْنَا وَأَطَعْنَا غُفْرَانَكَ رَبَّنَا وَإِلَيْكَ الْمَصِيرُ﴾ فقال الله ﴿لَا يُكَلِّفُ اللهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا اكْتَسَبَتْ﴾ فقلت: ﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا﴾ فقال الله لا أؤاخذك، فقلت ﴿رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا﴾ فقال الله: لا أحملك فقلت: ﴿رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلَانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ﴾ فقال الله تبارك وتعالى: قد أعطيتك ذلك لك ولأمتك، فقال الصادق عليه السلام ما وفد إلى الله تعالى أحد أكرم من رسول الله ﷺ حين سأل لأمته هذه الخصال. فقال رسول الله ﷺ: يا رب أعطيت أنبياءك فضائل فاعطني فقال الله: قد أعطيتك فيما أعطيتك كلمتين من تحت عرشي: لا حول ولا قوة إلا بالله، ولا منجا منك إلا إليك. قال:

وعلمتني الملائكة قولاً أقوله إذا أصبحت وأمسيت: اللهم إن ظلمي أصبح مستجيرا بعفوك، وذنبي أصبح مستجيرا بمغفرتك وذلي أصبح مستجيرا بعزتك، وفقري أصبح مستجيرا بغناك ووجهي الفاني أصبح مستجيرا بوجهك الباقي الذي لا يفنى، وأقول ذلك إذا أمسيت. ثم سمعت الأذان فإذا ملك يؤذن لم يُر في السماء قبل تلك الليلة...)[١].

بقي أن نوضح بعض ألفاظ هذا الحديث وهي قوله في الرواية «رجلا آدما» يقال: رجل آدم أي أسمر اللون، والطامة هي الأمر الشديد الذي يغلب ما سواه، ولذلك سميت القيامة بالطامة، والأكتاف جمع كتف والمراد الأطراف والنواحي، وقوله: «فوقع في نفس رسول الله انه هو» أي أنه الملك الذي يدبر أمر العالم وينتهي إليه كل أمر. وقوله: شنوة بالشين والنون والواو وربما يهمز قبيلة كانوا معروفين بطول القامة، وقوله: «أشمط الرأس واللحية» الشمط بياض الشعر يخالطه سواد، والزغب أول ما يبدو من الشعر والريش وصغارهما، والبخت الإبل الخراساني والدلي بضم الدال وكسر اللام وتشديد الياء جمع دلو على فعول، والصبابة بفتح الصاد المهملة والباء الموحدة الشوق والهوى الرقيق وبالمعجمة مضمومة الغيم الرقيق»[٢].

---

(١) تفسير الميزان /ج١٣ ص١٢-١٦.

(٢) تفسير الميزان /ج١٣ ص١٦-١٧.

الخاتمة

إن المتأمل في حياة هذه الشخصية العظيمة وهي شخصية سيد الأكوان ونور الوجود وكل موجود يجد أن هذا الكيان العظيم قد اجتمعت فيه الأضداد وتحيرت به العقول فمن جهة أنه كان ﷺ أول مخلوق تشرف بخلق الله له ثم خلق من نوره الشريف كل خير «عن جابر بن عبد الله الأنصاري قال: قلت لرسول الله ﷺ أول شيء خلقه الله ما هو؟ فقال: ﷺ نور نبيك يا جابر خلقه الله ثم خلق منه كل خير»[1].

ومن جهة أخرى كان أشد الناس تواضعاً وبساطةً مع الناس وأهله وأصحابه.

فنحمد الله حمداً لا نهاية له أننا خلقنا على ملته ودينه وشريعته ﷺ ولو أن الإنسان سلب كل نعمة وبقيت هذه النعمة لكان من الفائزين.

فيا أبا الزهراء إنا قومٌ لم نرك ولم نسمعك ولم يصل إلينا من الإسلام ألا سواد في بياض لكن قلوبنا انقادت إليك انقياد الفصيل لأمه.

فيا رسولنا وسيدنا إنا توجهنا واستشفعنا بك إلى الله فكن شفيعنا إلى الله والحمد لله أولاً وأخراً.

---

(١) بحار الأنوار/ ج١٥ ص٢٤.

المصادر

القرآن الكريم

١. لسان العرب/ ابن منظور.

٢. سنن النبي/ الطباطبائي.

٣. إرشاد القلوب/ الديلمي.

٤. الأمالي/ الصدوق.

٥. الكافي/ الكليني.

٦. الصحيح من سيرة النبي الأعظم/ جعفر مرتضى العاملي.

٧. الميزان في تفسير القرآن/ محمد حسين الطباطبائي.

٨. تفسير البرهان/ هاشم البحراني.

٩. الأمثل في تفسير الكتاب المنزل/ ناصر مكارم الشيرازي.

١٠. بحار الأنوار/ العلامة المجلسي.

١١. مكارم الأخلاق/ الطبرسي.

١٢. مستدرك الوسائل/ الميرزا حسين النوري الطبرسي.

الفهرس

تمهيد ٣

الوقفة الأولى:

فيما جاء في بعض أوصافه وسننه ﷺ ٦

في عشرته مع الناس وأخلاقه وتعامله مع الرعية ١٠

الوقفة الثانية:

في بدء الدعوة بالتبليغ للرسالة الإلهية الخاتمة ١٢

نتيجة الوقفة الثانية ١٦

الوقفة الثالثة :

من معاجزه ﷺ (الإسراء والمعراج) ١٩

نص حديث الإسراء والمعراج ٣٣

الخاتمة ٤٥

المصادر ٤٦

إن من أهم المصادر التي تعطي القوة في العقيدة وتدفع بالإنسان إلى اقتحام الأهوال والصعاب في سبيلها.. هي العشق والولاء لأصحاب أو صاحب الدعوة والعقيدة، وهذا الولاء وهذه التضحية يجب أن تكون بكل غالٍ ونفيس من أجله، وهي لا تأتي إلا عن طريق المعرفة والعلم والاطلاع على صاحب هذه الدعوة أو تلك العقيدة.

لذا فإن الإنسان المسلم إذا كان له علماً ومعرفة برسول الله ﷺ فسوف يختلف من ناحية الالتزام والتطبيق بالشريعة من الإنسان المسلم الذي لم يعرف من الشريعة إلا رسمها ومن صاحب الشريعة إلا اسمه، وعليه.. لا بد لنا من استعراض الشيء القليل عن هذه الشخصية العظيمة ومعرفتها التي قلبت كيان مجتمع عاش بجاهلية صماء مطبقة ونقلهم إلى ساحة النور والعزة بين أمم العالم وأهل الديانات السماوية.